الوحدة الإسلامية في شعر الجواهري

طالب الدكتوراه على محمد رضايي
جامعه الامام الرضا عليه السلام الدولية ـ قسم اللغة العربية ـ إيران
a.mohammadrezayi@yahoo.com
الأستاذ الدكتور
محمد علي آذرشب
جامعه طهران ـ كليه الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ إيران
dr.azarshab@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور
أمير سلماني رحيمي
جامعه الامام الرضا عليه السلام الدولية ـ قسم اللغة العربية ـ إيران
rahimisa@hotmail.com

The Islamic Unity in the Poetry of Al-Jawahiry

PhD Candidate Ali Raza
Imam Riza (as) International University Department of Arabic/Iran
Prof (PhD) Mohammad Ali Azarship
Tehran University/Faculty of Artsl Department of Arabic/Iran
Asst. Prof (PhD) Ameer Salmani Raheem
Imam Riza (as) International University Department of Arabic/Iran

الملخص:-

تعد الوحدة من أهم مطالب الشعوب العربية والإسلامية في العصر الحديث؛ لما عانت من الأثر السيئ للفرقة والتمزق؛ حتى تسلط أعداؤها عليها، فوقع معظم البلاد العربية والإسلامية تحت سيطرة الأمم الأوروبية، التي استغلت خيراتها، ورسخت شعور الاختلاف بينها، وأقامت حواجز تمنع الوحدة الإسلامية بأي شكل من الأشكال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. والدعوة إلى الوحدة أساس في الإسلام بنص الآية الكريمة: "وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ"، والتحذير من الخلاف أساس أيضاً بنص الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ من هذا الإيمان الراسخ في قلوب المسلمين: غرد شعراؤنا الاسلاميون في العصر الحديث بالدعوة إلى الوحدة في كل مناسبة، وحذروا من الفرقة، وبينوا إيجابيات الأولى، وحذروا من عواقب الأخرى، حتى صارت من أبرز موضوعات الشعر العربي الإسلامي الحديث.

وقد كان الجواهري من ابرز الشعراء العرب الذين تناولوا قضية الوحدة الاسلامية في ديوانه الشعري فقد راي ان الحل الوحيد لمجابهة عدو الامة العربية المسلمة المتمثل في مثلث الامبريالية المستعمرة والاحتلال الصهيوني والاستبداد الحكومي هو التآزر الاسلامي والانضواء تحت راية الوحدة الاسلامية باعتباره الحل الامثل بدل الحلول الاخرى من مثل الوحدة القومية او الوطنية. يسعي هذا البحث إلى دراسة ثلاثة قصائد استنهاضية للشاعر تدور حول الاستعمار الامبريالي و الانظمة الاستبدادية و الاحتلال الصهيوني وتقديم مقتطفات شاهدة على اتجاه الشاعر الاسلامي وايمانه العميق بالاتحاد الاسلامي كحل وحيد لهذه الازمات المتفاقمة.

الكلمات المفتاحية: الوحدة الاسلامية، الاستعمار الامبريالي، الاحتلال الصهيوني، الاستبداد الحكومي والجواهري.

Abstract:-

Unity is one of the most important demands of Arab nations of the last century Because they were plagued by the evil effects of divisions and differences .Many Arab and Islamic countries were under the control of European countries, They plundered their resources and created differences between them and prevented the formation of Islamic unity .This is while unity is one of the basic foundations of Islam. The Holy Quran says in this regard: “And hold fast to the rope of Allah, all of you together” And in the other verse he warns of disagreement and disagreement: “and do not dispute with one another for you will lose courage again and your strength will be lost” Inspired by the verses of the Holy Qur'an, Islamic poets in the last century invested in unity in every possible way and they were afraid of divisions, and they explained the results of unity and the effects of divisions To the extent that unity in contemporary poetry became one of the main themes.

Mohammad Mehdi Javaheri is one of the most prominent poets in his poetry on Islamic Unity. In the thought of Mohammad Mehdi javaheri, the enemy of the Islamic Ummah: colonial imperialism, Zionism, and autocracy. He believes that the only way to confront this is Islamic alliance under the banner of Islamic unity, Because it is better than ethnic and national unity. This article deals with the analysis of three idiots of jewelry circulating around colonialism, dictatorial regimes, and the Zionist regime, and other poetry poems We find the poet's deep faith in Islamic unity as the only solution to existing crises.

Keywords: Islamic Unity، Colonial imperialism، Occupation Zionism, autarchy, Mohammad Mehdi Javaheri.

أهمية البحث:

ادرك العديد من شعراء العرب في العصر الراهن اهمية الوحدة الاسلامية وانشدوا الكثير من القصائد الاستنهاضية الوحدوية في هذا الصدد. وقد قدموا في تلك القصائد روي مفيدة ومقترحات مجدية للوصول إلى تلك الوحدة المنشودة. ونحن هنا بهدف الاطلاع واستثمار تلك الروي والمقترحات في سبيل تحقيق امل الوحدة المتوخي.

في هذه الرسالة سعينا إلى عرض ودراسة نظرات ومقترحات احد ابرز شعراء الوحدة الاسلامية في القرن العشرين وهو الجواهري. كما اننا من جانب اخر نحاول معرفة القضايا المدخلية التي ولج من خلالها الشاعر إلى قضية الوحدة الاسلامية.

اسئلة البحث:

- ما هي ابرز القضايا المدخلية التي تناول الجواهري عبرها قضية الوحدة الاسلامية؟
- ما هو دور القضية الفلسطينية في تعزيز فكرة الوحدة الاسلامية في شعر الجواهري؟
- ما هي علاقة الاستعمار والاستبداد الحكومي بالوحدة الاسلامية في نتاجه الادبي؟

خلفية البحث:

دبجت العديد من البحوث حول الوحدة الاسلامية في الشعر الحديث ابرزها الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث منذ عهد السلطان عبدالحميد إلى قيام جامعة الدول العربية ١٢٩٣-١٣٦٥ م ١٨٧٦ - ١٩٤٥ للمؤلف: عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ثنيان العمران وهناك العديد من البحوث التي تهتمت بقضايا الامة الاسلامية من مثل الالتزام في الادب الاسلامي للمؤلف محمد مصطفي هدارة من بحوث ندوة الادب الاسلامي عام ١٤٠٥ق والالتزام في الشعر العربي الحديث للكاتب أبو حاقة بيروت دار العلم للملاين عام ١٩٧٩م كما ان هناك العديد من الدراسات التي تناولت شعر الجواهري من مثل رسالة الاستنهاض في شعر الجواهري اساليبه ومحاوره لكن اي من هذه الدراسات لم تتناول قضية الوحدة الاسلامية في شعر الجواهري وان كانت قد ناقشت قضية التزامه و ثورته الا انها لم تشر إلى اتجاهه الاسلامي الوحدوي في شعره مما حدانا إلى تأليف هذه المقالة لتبيين اتجاه الشاعر الاسلامي في تعاطيه مع مآسي عالمه العربي والاسلامي.

حياة الجواهري:

ولد الشاعر محمد مهدي الجواهري في النجف في السادس والعشرين من تموز عام ١٨٩٩م، والنجف مركز ديني وأدبي، وللشعر فيها أسواق تتمثل في مجالسها ومحافلها، وكان أبوه عبد الحسين عالماً من علماء النجف، أراد لابنه الذي بدت عليه ميزات الذكاء والمقدرة على الحفظ أن يكون عالماً، لذلك ألبسه عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سن العاشرة.

كان في أول حياته يرتدي العمامة لباس رجال الدين لأنه نشأ نشأةً دينيه محافظة، واشترك بسب ذلك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠م ضد السلطات البريطانية وهو لابس العمامة، ثم اشتغل مدة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول عندما تُوج ملكاً على العراق، بعد ذلك ترك الاشتغال في البلاط الفيصلي وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثم جريدة (الرأي العام) وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.

أصدر في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ الجزء الأول والثاني من ديوانه في طبعة جديدة ضم فيها قصائده التي نظمها في الأربعينيات والتي برز فيها شاعراً كبيراً. شارك في عام ١٩٥٠ في المؤتمر الثقافي للجامعة العربية الذي عُقد في الاسكندرية. انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفيين. واجه مضايقات مختلفة فغادر العراق عام ١٩٦١ إلى لبنان ومن هناك استقر في براغ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين. أقام في براغ سبع سنوات، وصدر له فيها في عام ١٩٦٥ ديوان جديد سمّاه " بريد الغربة" .عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨ وخصصت له حكومة الثورة راتباً تقاعدياً قدره ١٥٠ ديناراً في الشهر. في عام ١٩٦٩ صدر له في بغداد ديوان "بريد العودة".و في عام ١٩٧١ أصدرت له وزارة الإعلام ديوان " أيها الأرق". وفي العام نفسه رأس الوفد العراقي الذي مثّل العراق في مؤتمر الأدباء العرب الثامن المنعقد في دمشق. وفي العام نفسه أصدرت له وزارة الإعلام ديوان " خلجات.

يتصف أسلوب الجواهري بالصدق في التعبير والقوة في البيان والحرارة في الإحساس الملتحم بالصور الهادرة كالتيار في النفس، ولكنه يبدو من خلال أفكاره متشائماً حزيناً من الحياة تغلف شعره مسحة من الكآبة والإحساس القاتم الحزين مع نفسية معقدة تنظر إلى كل أمر نظر الفيلسوف الناقد الذي لا يرضيه شيء.

وتوفي الجواهري في السابع والعشرين من تموز ١٩٩٧، ورحل بعد أن تمرد وتحدى ودخل معارك كبرى وخاض غمرتها واكتوى بنيرانها فكان بحق شاهد العصر الذي لم يجامل ولم يحاب أحداً. وقد ولد الجواهري وتوفي في نفس الشهر، وكان الفارق يوماً واحداً ما بين عيد ميلاده ووفاته. فقد ولد في السادس والعشرين من تموز عام ١٨٩٩ وتوفي في السابع والعشرين من تموز ١٩٩٧.

مفهوم الوحدة الإسلامية لغة واصطلاحًا:

مفهوم الوحدة لغة: قال ابن فارس[١] وحَّد الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة. وهو: واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله[٢]. والواحد بني على انقطاع النظير وعوذ المثل والوحيد بني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينونته عنه، والعرب تقول أنتم حي واحد وحي واحدون، وقيل الواحد المتقدم في علم أو بأس أو غير ذلك، كأنه لا مثل له فهو وحدة ووحدة توحيداً، جعله واحدًا وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عزّ وجل[٣]. والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ثم يطلق على كل موجود حتى إنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به ويقال عشرة واحدة ومائة واحدة وألف واحد[٤].

مفهوم الوحدة اصطلاحًا: تعددت تعريفات الوحدة ومنها: الوحدة هي اتحاد الدول أو البلاد، والأفراد والجماعات لسائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيء واحد أو أمة واحدة يقال اتحاد البلدان، اتحد البلدان أي صارا بلدًا واحدًا[٥] واتحدت الأشياء صارت شيئًا واحدًا، ويقال وحَّد المتعدد أي صيَّره واحدا، والاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطها حتى يصيرا شيئاً واحدًا.

مفهوم الأمة لغة واصطلاحًا: قال ابن فارس:[٦] أما الهمزة والميم أصل واحد ومن معانيها الجماعة والدين كما في قوله ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان فهو أمة، وكل قوم نسبوا إلى شيء فأضيفوا إليه فهم أمة، وكل جيل من الناس أمة على حدة كما في قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي إماماً يهتدى به، وهو سبب الاجتماعية (أي الاجتماع)وقد يكون جماعة العلماء، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والأمة هنا معناها المعلم للخير(٧).

مفهوم وحدة الأمة: أصل الأمة الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة الناس أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد(٨)، والأمة الناس المجتمعون على دين واحد أو في عصر واحد(٩)، فالملاحظ أن الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد ودين واحد وفي عصر واحد، أما مصطلح وحدة الأمة الإسلامية يعني الاندماج والتوحيد وذلك على أساس الإسلام الذي يربط عقدياً بين البشر المؤمنين برسالته ليلغي ذلك بينهم جميع أنواع وأشكال الروابط الأخرى من حيث العرق واللغة وغيرها بحيث يصبح القاسم المشترك بين أفراد هذه الجماعة البشرية هو الدخول في دين الإسلام كعقيدة ونظام حياة(١٠).

الاستبداد الحكومي:

الاستبداد في اللغة هو التفرد بالراي واستبد بالشيء اي انفرد به(١١). وفي حديث الامام على عليه السلام ولكنّا كنّا نري انّ لنا في هذا الامر حقّا، فاستبددتم علينا.. (١٢) واما مصطلح الاستبداد السياسي فانه يعني الانفراد بادارة شؤون المجتمع من قبل فرد او مجموعة دون بقية المواطنين(١٣). و يرى الكواكبي أنّ الاستبداد (بأشكاله المختلفة: الديني، و السياسي، و الاقتصادي) هو أساس جميع المفاسد و أن عاقبته لا تكون إلا للأسوء، مثلما يرى في الاستبداد أكبر مشكلة يعانيها الشرق. و يعرف الاستبداد بقوله "الاستبداد في اللغة بمعنى اكتفاء الشخص برأيه في موضوع يحتاج إلى الشورى، لكن هذه اللفظة عند ذكرها بالصيغة المطلقة تفهم باستبداد الحكام. أمّا في اصطلاح أهل السياسة فهي تعني تصرف فرد أو جماعة بحقوق شعب دون الخوف من المؤاخذة والاستجواب". ويرى أن الاستبداد هو "من صفات الحاكم المنفرد والمطلق العنان، الذي يتصرّف في أمور رعيته بإرادته دون خوف من المحاسبة أو العقاب". وحول الموضوع نفسه يقول الكواكبي ايضا "ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن على أيتام يتصرف بأموالهم كما يهوى ما داموا قاصرين،

فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم كذلك ليس من مصلحة المستبد أن تتنور الرعية بالعلم"[١٤].

مرّت على البلاد العربية المسلمة في القرن العشرين حكومات متعدّدة؛ فقد حكمها في بدايات القرن الأنظمة الملكية التي توصّلت إلى الحكم إثر توافق مع الدول الغربية التي هيمنت على أكثر البلاد الإسلامية بعدما انهارت الإمبراطورية العثمانية عام ١٩١٦م. فقد نصب الاحتلال البريطاني و الفرنسي الذي أخذ زمام السلطة في البلاد العربية المسلمة حكاما مستبدين و كلّفهم مهمة منع تحقيق حلم الوحدة الاسلامية و حماية مصالحه في تلك البلاد. فظهرت على ساحة البلاد العربية أسر شكلت أنظمة ملكية فرضت نفسها بالقوّة و حكمت البلاد بالنار و الحديد و مارست على شعوبها أشدّ أنواع الجور و القمع حتى استطاعت أن تكرّس هيمنتها لعقود عديدة، لكنّ فشل سياسيتها للبلاد داخليا و خارجيا أثار عليها حفظية الشعوب فانتفضت عليها المعسكرات و الجماهير المضطهدة و أطاحوا بها و تقلّد الحكم من بعدها زعماء الثورات العسكرية فتشكّلت الحكومات الجمهورية لأوّل مرّة في تاريخ البلاد العربية المسلمة و تعهّدت بإنّ تصلح كلّ ما خلّفته الأنظمة السابقة من فساد ودمار وأن تقوم بالعدل وتنصف الفقراء والطبقات المهّمشة من أعداءها الأثرياء الذين نهبوا ثروات الوطن و مقدّراته في العهد الملكي السابق. فجرت على الطريق الإصلاحي ذلك فترة من الزمن لكنّ يد الاستعمار استطاعت أن تلوي هذه الحكومات عن مسيرها الإصلاحي وتحرفها عن جادّة الصواب بما أغدقته عليها من ثروات وامتيازات كما حرفت الأنظمة الملكية سابقا فترسّمت خطي المستعمر وحقّقت أهدافه وحفظت مصالحه وانتهجت مسير الحكومات الملكية السابقة وكرّرت أخطاءها حتى أصبحت أبلي وامرّ من الأولى[١٥].

فقد ساهمت أنظمة الاستبداد في تبديد ثروات الأمّة العربية الاسلامية، و أنفقت أموالا طائلة في بناء جيوش لن تستخدم قطّ إلا لقهر شعوبها. كما أنّها ساهمت في تجذّر التجزئة و الفرقة و أفرغت مفهوم الوحدة من مضمونه و جعلت من الوحدة الاسلامية حلما مستحيل التنفيذ. كما عجزت عن وضع خطط عملية لمواجهة المشروع التفتيتي الأميركي الصهيوني الذي يستهدف هذه الأمّة رغم ثرواتها و إمكانياتها الضخمة. و لم يبد يوما أنّ من أولويات هذه الأنظمة العمل على تنفيذ إصلاحات جذرية أو تحقيق انفراجات سياسية واجتماعية حقيقية والانفتاح على شعوبها والعمل على تحسين مستوى معيشتها أو فتح المجال أمامها لمزيد من حرية

التعبير والرأي. ولكن على العكس تماما من ذلك كانت هذه الأنظمة تستغلّ الخطر الاستعماري الغربي والإسرائيلي الصهيوني المتزايد كي تزيد من سطوتها و جبروتها وتعسّفها.

قد شكل موضوع الاستبداد محورا اساسيا من محاور الشعر الاستنهاضي الذي دارت حوله قصائد الجواهري بحيث لا تكاد تخلو قصيدة سياسية لشاعرنا من التطرّق لهذا الموضوع الهام؛ فقد رأي الشاعر أن داء الاستبداد هو أكبر داء تعاني منه الأمّة المسلمة وأعظم عقبه في طريقها وحدتها الاسلامية ومسيرتها التقدّمية في كلّ المجالات لذا أراد تداركوا الأمور فبادروا إلى الكشف عن هذا الداء الويبل وإذا به ورم خبيث لا يجدي معه أي علاج سوي علاجه الوحيد الناجع المتمثّل بالاستئصال. لكنّنا في هذا الفصل نقوم بدراسة قصيدة جمال الدين الافغاني لتكون شاهدة على اتجاه الشاعر الاسلامي في تعاطيه مع ازمة الاستعمار الامبريالي.

القي الجواهري قصيدة "جمال الدين الافغاني" في حفل الاحتفاء بمرور رفات جمال الدين الأفغاني من العراق في طريقه إلى افغانستان.(١٦) أعجب الجواهري بشخصية الأفغاني أيما أعجاب و ادّي ذلك إلى اتّفاقهما في الأهداف و المثل العليا؛ فقد كان هدف الإفغاني الأعلي أن يوحد الشعوب الإسلامية اجمع و يرفعها إلى مستوي الشعوب الحرّة المتقدّمة، عن طريق نشر العلم نشرا واسعا، و تطبيق الدين الاسلامي تطبيقا يلائم مقتضيات العصر...كان يريد ان يري البلاد الاسلامية متحرّرة تمهيدا لنهضتها الفكرية و الروحية، ثم تتّحد في ظلّ خليفة واحد تجمع كلها على الاعتراف به.(١٧) من هنا دعوته إلى تضامن طبيعي يتعدي حدود الامّة، هو ذلك التضامن الذي يربط جميع شعوب الشرق التي يتهدّدها التوسّع الأوروبي. وقد اعلنت جريدة العروة في عددها الاوّل انّها موجّهة إلى الشرق عموما وإلى المسلمين خصوصا.(١٨) والشاعر في هذه القصيدة الرثائية يشيد بذكري الفقيد جمال الدين الافغاني و بنضاله معسكري الاستبداد و الاستعمار الذين عاثا فسادا في البلاد الاسلامية، و يمجّد بمواقفه الوطنية و الإسلامية التي تصدّت لهما بكلّ حزم و شهامة، و يبين دوره الريادي في نهضة الشرق السياسية و صعود نجم الأمّة العربية أوان حياته ثمّ إخفاق تلك النهضة و أفول نجم الأمّة الصاعد من بعد موته. يستهدف الشاعر من تسليط الضوء على حياة الفقيد النضالية استنهاض الشعوب العربية والإسلامية للاحتذاء بهذا الشهاب الثاقب في فكرته المتمثلة بالاتحاد الاسلامي و في خوض النضالات ضدّ

الاستبداد و الاستعمار و التحلّي بعزمه و شهامته في التصدّي لهما. تنقسم القصيدة إلى ثماني لوحات متلاحمة سنورد فيما يلي بعض مقاطعها:

هَويتَ لِنُصرةِ الحقّ السُهادا ... فلولا الموتُ لم تُطِقِ الرُّقادا
ولولا الموتُ لم تَتْرُكْ جِهاداً ... فَلَلْتَ به الظغاةَ ولا جِلادا
ولولا الموتُ لم يَذهبْ حريقٌ ... بيانعةٍ وقد بَلَغتْ حَصادا
وإنْ كانَ الحدادُ يَرُدُّ مَيتاً ... وتَبلُغُ منه ثاكلةٌ مُرادا
فانَّ الشَّرقَ بينَ غدٍ وأمسٍ ... عليكَ بِذِلَّةٍ لبِسَ الحِدادا![19]

يبدأ الشاعر قصيدته بنعي الفقيد جمال الدين الافغاني ويشيد بنضاله ووطنيته في دعم الأمّة الإسلامية؛ فجمال الدين رجل مناضل هوي لنصرة الحقّ المشقات واستطاع بعزمه الحديدي ترويض الصعوبات واجتياز العقبات التي تعترض طريقه لكنّ الموت غاله، ولولا هذا الموت لما أطاق الفقيد الرقاد ولما ترك ميادين الجهاد و لما كفّ عن مناهضة المستعمرين والمستبدّين ولما إخفقت جهود الشعوب النضالية التي كادت أن تثمر لولا رحيله إلى جوار ربّه.

ترفَّعْ أيُّها النجم المُسَجَّى ... وزِد في دارةِ الشَّرَفِ اتّقادا
ودُرْ بالفكر في خَلَدِ الليالي ... وجُلْ في الكون رأياً مُستعادا
وكُنْ بالصَّمتِ أبلغَ منك نُطْقاً ... وأورى في مُحاجَجةٍ زِنادا
فانَّ الموتَ أقصرُ قِيدَ باعٍ ... بأنْ يَغتالَ فِكراً واعتقادا![20]

ثمّ في الأبيات التالية يعلن الشاعر خلود الفقيد رغم اندثاره تحت التراب بفضل ما تركه من جلائل الأعمال وعظيم الإنجازات؛ فالفقيد نجم سام و الموت لم ينتقص من شانه؛ وإنّما زاده سموا و ألقا وصنع منه فكراً خالداً يدور في خلد الأيام ورأياً سامياً يجول في عقل الشعوب، وجعل صوته الاستنهاضي أبلغ نطقا من ذي قبل وأوري زنادا في المحاججات وهكذا فإنّ الموت لم يستطيع أن يقضي عليه إذ إنّ الموت أقصر باعا من أن يستطيع اغتيال الأفكار السامية و الاعتقاد السليم. والشاعر يهدف من خلود فكر الفقيد ورايه المستعاد هو بث افكاره واراءه الوحدوية في الشعوب الاسلامية بهدف اتحادها تحت مظلة الاسلام.

وأنت ازْدَدْتَ من سُمٍّ زعافٍ ... تَذَوَّقَهُ سَواك فما استزادا!
نضالِ المستبدِّ، يَرى انكشافاً ... عَمايتَه، و عثرتَه سَدادا
خَشِيتَ اللّهَ عن علمٍ، وحقٌّ ... إذا لم تَخشَ في الحقّ العبادا

وجَـــدْتَ اللـــذَّةَ الكُـــبرى فكانـــت طريـــفَ الفِكـــرِ والهمَـــمِ الـــتِلادا

ويواصل الشاعر تمجيده بالفقيد و يشيد بمقارعته للطغاة؛ فالفقيد بانٍ شيد من فكرته النضالية صرحا شامخا و تجرّع من أجلها السم الزعاف والصعوبات القاسية وشتّى المشقّات التي لم يقو على تحملها أحد سواه؛ فقد التزم نضال المستبدين الطغاة بحزم وإيمان حتى أصبحت ظلمات طريق الكفاح في نظر الفقيد انشكافا وعثراته سدادا واستحلي صعوباته واستسهل مشقّاته وما ذلك إلا لأنّه خشى الله عن علم صحيح وإيمان راسخ ولم يخش الطغاة في سبيل الحقّ وأصبح التنوير والهمم التليدة لذّته الكبرى وهدفه الأسمى في حياته ولم يضعف أمام الخطوب والأزمات.

جمـــالَ الـــدينِ كنـــتَ وكـــانَ شَـــرقٌ وكانـــتْ شِـــرعةٌ تَهَـــبُ الجِهْـــادا
وكانـــت جَنَّـــةٌ في ظِـــلِّ ســـيفٍ حَمَـــى الفَـــردُ الـــذِمارَ بـــه وذادا
وإيمـــانٌ يقـــودُ النـــاسَ طَوعـــاً إلى الغَمَـــراتِ فَتـــوىً واجتـــهادا
وكانـــت " عُـــروةٌ وُثْقَـــى " تُزَجَّـــى لمنقَســـمينَ حُبّـــاً واتحـــادا
وجِئـــتَ ورُفقـــةٌ لـــك كالـــدَّراري لِضُـــلاَّلٍ بغَيْهَبِـــه، رشـــادا
جمـــالَ الـــدينِ كنـــتَ وكـــانَ عهـــدٌ سُـــقيتَ لمـــا صـــمدْتَ لـــه العِهـــادا[٢١]

ثمّ في القسم التالي يشيد بدور الفقيد الكبير في النهضة الشرقية التي أراد لها أن تقف في وجه الاستبداد و يجلّ فيه أفكاره النضالية و قيامه بتنشئة الجيل المجاهد على شاكلته وتحرير الصحف المناوئة للاستبداد واسياده؛ فنجم الشرق بزغ في نظر الشاعر عندما ظهر جمال الدين الأفغاني على الساحة الشرقية فازدهرت أوضاع البلاد الاسلامية بظهوره وترقّت بفعل سنّته الجهادية التي شرعها للشعوب الشرقية وتأكيده على الجهاد كحلّ لقضيتي الاستعمار والاستبداد و تشديده على أن الحياة الحرّة الكريمة لا تتأتّي الا من خلال الكفاح. وقد أصدر الفقيد صحيفة "العروة الوثقي" التي تكفلت بالنهضة الثقافية وتوحيد الشعوب الشرقية المنقسمة وجمعها على مائدة الحبّ و الاتّحاد بهدف التصدّي لمعسكر الغرب وعملائه الجبابرة في البلاد الشرقية وأنشأ جيلا مناضلا على غراره تعهّد بإنارة سبيل الأمّة الإسلامية وإرشادها إلى الصراط المستقيم وأخذ على عاتقه مناهضة الفساد والوقوف سدّا في وجه تياره الطامي، وهكذا فإنّ جمال الدين في نظر الشاعر أمّة بأكملها فقد استطاع إدارة عهد من الزمان ربّي خلاله جيلا راقيا نما و أثمر و اشتدت عراه بفضل جهوده الجبّارة

ومساعي تلامذته.

فكَـــمْ في الشَّـــرقِ مـــن بَلـــدٍ جـــريحٍ ... تشَـــكّى لا الجـــروحَ بَـــلِ الضِّـــمادا!
تشَـــكّى بَغـــيَ مُقتـــادٍ بغـــيضٍ ... تـــأبَّى أنْ يُطاوعَـــه انقيـــادا
فكانـــتْ حِيَلـــةٌ أنْ يَمْتَطيـــهِ ... رضـــيعُ لِبانـــه فبغـــى وزادا
صَـــدىً للأجـــنبيّ، ورُبَّ قَفْـــرٍ ... أعـــادَ صـــدىً فَسُـــرَّ بمـــا أعـــادا
فكـــانوا منـــه في العَـــوْراتِ سِـــتراً ... وكـــانوا فـــوق جمرتـــهِ رمـــادا
فأســـلَمَهُ الغريـــبُ إلى قَريـــبٌ ... يسّـــخِرُهُ كمـــا شـــاءَ اضـــطهادا[٢٢]

ثم في القسم الختامي بين الشاعر السبب الرئيسي الذي حدا الاستعمار إلى تنصيب الحكام على الشعوب العربية بعد رحيله و يكشف عن حجم الدمار و الجرائم التي قام بها هؤلاء الحكام أسوة بأسيادهم المستعمرين؛ فبعد مجيء الاستعمار استنفدت الشعوب الشرقية صبرها بفعل جرائمه الفظيعة و المتكرّرة في البلاد الشرقية؛ فهمت تلك الشعوب بتشكيل حكومات وطنية تنقذهم من أعداءهم المستعمرين، لكنّ القوي المستعمرة كانت لها بالمرصاد فاحتالت وفرضت عليها حكومات شكلية بعدما اختارت لها حكاما عملاء وكلّفتها مهمّة حفظ المصالح وسرقة المقدّرات الوطنية في تلك البلاد وأن بدت في لباس الوطنية وادّعت مناهضة المستعمرين وهكذا فقد كانت تلك الحكومات صدي للأجانب تنفذ أوامرهم وتحرس مصالحهم وغطاء يستر خلفه وجوههم البشعة ورماد تهدئة يغطّي جمر فظائعهم لقاء ما يحصلون عليه من فضلة مالهم.

الامبريالية المستعمرة:

الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَر، واستعمره في المكان أي جعله يعمره[٢٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٢٤]. فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي.ويعرف الشهابي وحبنكة الاستعمار موافقين بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة[٢٥].

غزت الدول المستعمرة البلادَ العربية والاسلامية واحدة تلو الأخرى من أجل تحقيق هذه الأهداف الدنيئة، وقامت بإعداد مخطّطات ومؤامرات تمكنها من تحقيق هذه الأهداف

بأحسن صورة و باقلّ تكاليف ممكنة. فكانت سياستها الاستعمارية قائمة على عدّة أمور، أبرزها: الاستيلاء على المواقع الجغرافية المتميزة للبلاد العربية، وضع يدها على المصادر الرئيسية للموادّ الخام، و تشتيت العرب - من أجل الحيلولة دون قيام وحدة عربية- التي يمكنها أن تقف في وجه الاستعمار الغربي. و قد سعت بكلّ جهدها لتحقيق هذه الأهداف الدنيئة فاستخدمت أسوء الأساليب وانتهجت أفدح الطرق، فقامت بغزو البلاد العربية والإسلامية ذات الموقع المتميز جغرافيا، ونهبت ثرواتها الوطنية و ممتلكاتها، وقضت على كلّ الحركات المناوئة التي ناهضت سياستها البشعة في البلاد الاسلامية. فكانت سياستها في مجملها سياسة إجرامية تعتمد: بثّ الفرقة، والقتل، والتنكيل، والقمع، وسلب الحريات، والزجّ بالسجون، ونهب الممتلكات، والنفي عن الوطن و...

هذه الأهداف الدنيئة و إرهاصاتها الإجرامية حدت الشعراء الاسلاميين للإعلان عن مواقفهم المناوئة لهذه السياسات الإجرامية، فقاموا بثورة استنهاضية عملوا من خلالها على مناهضة المستعمر و الوقوف بوجهه و توعية الشعوب بأوضاعها المزرية و بالمؤامرات التي تحاك لها من قبل المستعمرين ودعوا الشعوب الاسلامية والعربية اجمع إلى الوحدة الاسلامية والانضواء تحت راية الشريعة الحنيفة. و قد كان الجواهري على راس هذه الزمة المباركة.

انشد الجواهري قصيدة "الوحدة العربية الممزقة" في عام في عام ١٩٢٢م، والقصيدة تعبير عن أسي الشاعر لما أصاب الأمّة العربية الاسلامية من الفرقة والشقاق وما جرّاها على الوطن من هيمنة المستعمرين على مقدرّاته و بثّ الشكاية إلى زعيم الشرق الاسلامي جمال الدّين الافغاني ودعوة حثيثة إلى وحدة اسلامية أمام الغزاة. يمكننا تقسيم القصيدة إلى ثلاثة لوحات رئيسية مترابطة يتناول الشاعر في اللوحة الأولى مأساة الاستعمار ويدعو إلى التصدي له كما انه في اللوحة الثانية يبث حزنه واساه إلى زعيم الوحدة الاسلامية جمال الدين الافغاني وفي المقطع الاخير يكشف عن توجهاته الشعرية الاسلامية ورغبته في توحيد صف الامة الاسلامية ضد الاستعمار واعداء الامة اجمع.

يـــا نـــائمينَ علـــى الأذى لا شـــامُكم ... شـــــامٌ ولا بغـــــدادُكُمْ بغـــــداد

تلـــك المـــروج الزاهـــراتُ تحولـــت ... فخـــلا العـــرينُ وصـــوّح المرتـــاد

هُضِـــمت حقـــوقُ ذوي الحقـــوق ... وُضـيِّعت تلـك العهـودُ وخاسـت الآسـاد

أعـــزِزْ علـــى الأجـــدادِ وهـــي رمـــائم ... أن لا تُعـــــزَّ تراثَهـــــا الأحفـــــاد
فزِعـــت الى تلـــك المراقـــد في الثـــرى ... لـــو كـــان يُجـــدي بـــالثرى اســـتنجاد
قَـــرِّى شـــعوبَ المَشـــرقَيْنِ علـــى الأســـى ... ميعـــادُ فـــكِّ أســـارِك الميعـــاد[٢٦]

في المقطع الأولى كما اشرنا يدعو الشاعر الأمّة العربية الاسلامية إلى الاتحاد و النهوض و ينعي على شعوبها الخنوع للغزاة و الصمت على الظلم والأذى يخاطب الشاعر قومه مستنكرا اكتفاءهم بالخطابات المنددة والاستنكارية غير المشفوعة بعمليات جهادية جادة على ارض الواقع فالشام وبغداد الجميلتان قد احتلّهما الاستعمار البريطاني والفرنسي وعاثا فيهما فسادا وجعلا جنّاتهما الزاهرات أراضيا محيلة و هضما حقوق أهلهما ولم يراعيا فيها الّا و لا ذمة. والعجيب في الأمر أن الشعوب العربية عند مواجهتها لهذا الاحتلال استسلمت للذلّ والهوان، وكان أقصي ما قامت بها هو البكاء و الاستنجاد بمراقد الأولياء علّها تنجيها ممّا أصابها من مآسي جرآء الاحتلال، والشاعر هنا ينعي عليها قيامها بهذا العمل أمام عدوّ لا يرضخ الّا للقوّة ولا يخضع سوي للنضال، ويكشف لها عن عدم جدوي التضرّع والبكاء معه؛ لأنّ البكاء فضلا عن أنّه لا يحلّ أزمات البلاد فهو يطيل عمر الاحتلال؛ لذا يتوجّب على الشعوب التي تريد مواجهة المستعمر أن تسمو في مدارج التقدّم وتحاربه بسلاح العلم كما سما هو قبلها في مدارج التطوّر والرقي بهذا السلاح و أنزل الشعوب المستعمرة إلى الحضيض الحضاري بفعل عرقلة طريقها التقدّمي و بثّ الخراقات والأوهام في أذهانها:

ايـــهٍ زعـــيم الشـــرق نجـــوى وامـــق ... لَهـــــجٍ بـــــذكرك هـــــزَّهُ الانشـــــاد
ان فَـــتَّ في عضُـــدِ الخِلافـــة ســـاعدٌ ... فلكَـــمْ هـــوت بســـواعد أعضـــاد
ولكـــم تضـــرَّت في القلـــوب عواطـــفٌ ... ثم انثنـــــت وكـــــأنهنَّ رمـــــاد
خُطَّـــت علـــى صـــفحات عزمـــك آيـــةٌ: ... إن الحيـــــاةُ ترفـــــعٌ وجهـــــاد
حاطـــت جلالَـــك عصـــبةٌ مـــا ضـــرّها ... أن أبرقـــــت، أن يكثُـــــر الارعـــــاد[٢٧]

ثمّ في المقطع الثاني يبثّ الشاعر حزنه إلى زعيم الشرق السيد جمال الدّين الافغاني فيشكو له ما حاق بالأمّة الإسلامية من تفرّق و شقاق و تقسيم بلادها إلى دويلات بفعل الاستعمار الغربي، و يشيد بذكراه و بأفكاره الوحدوية و بدعوته إلى الجهاد و التصدّي للمعسكر الغربي بحزم و قوّة و يمجّد تلامذته الأبطال الذين ساروا على نهجه غير مكترثين

بتهديد الغرب وبإغرآته، ويعلن انضواءه تحت رايتهم ودعمه لهذا التيار الاستنهاضي. وكما نلاحظ فان الشاعر من خلال بث الشكوى إلى زعيم الوحدة الاسلامية جمال الدين الافغاني وانصاره انما يستهدف تذكير العالم الاسلامي بزعيمه ومن وراء ذلك رسالته الاسلامية التوحيدية المناهضة للاستعمار والامبريالية العالمية كما انه من خلال تمجيد الزعيم وابطال الدعوة الاسلامية انما يحيي العزيمة في نفوس الخاملين و المتقاعسين عن الجهاد كي ينضموا إلى ركب الكفاح المسلح ضد الغزاة بهدف الوحدة الاسلامية.

انا شاعرٌ يبغي الوفاق موِّحد ... بين الشُّعوب سبيلُه الارشاد

ما الفرسُ والأعراب إلا كَفتا ... عدل ولا الاتراكُ والأكراد

لم تكفنا هذي المطامع فُرقةٍ ... حتى تُفرِّقَ بيننا الأحقاد

ألغات هذا الشرق سيري للعلى ... جنباً لجنب رافقتك الضاد[٢٨]

ثمّ في المقطع الاخير تتجلّي فكرة الشاعر الوحدوية في الأبيات التالية باجلى صورة؛ فهو شاعر يبغي الوفاق و الوحدة بين الشعوب الشرقية حتى أن العرب والفرس والأتراك والأكراد في نظره إخوة في الدّين فيجب عليهم أن يتّحدوا صفّا واحدا في وجه الأعداء الذين يرومون التفريق بينهم من خلال ما يقومون به من بثّ سموم الفتنة و اذكاء الحزازات الطائفية والعداوات القديمة والأحقاد القومية المختلقة من قبل الغرب.

الاحتلال الصهيوني

مأساة فلسطين في حجمها و في حدّتها أكبر مأساة إنسانية ألّمت بالأمّة الاسلامية في تاريخها الحديث، ولا تزال هذه المأساة ساخنة، ولا تزال هذه المأساة ملتهبة، ولا تزال هذه المأساة متفجّرة، ولا تزال أبعادها مفتوحة، ولا يزال حجمها متزايداً لدرجة أنها أصبحت مأساة المسلمين الكبرى، وقضيتهم الأولى؛ إنها قضية وجودهم، إنها قضية مصيرهم، إنها قضية حضارتهم.

لقد تبنّت إنجلترا منذ بداية القرن العشرين سياسة إيجاد كيان يهودي سياسي في فلسطين لسببين رئيسين، الأوّل أنّهم قدّروا أنّ هذا الكيان سيظلّ خاضعاً لنفوذهم ودائراً في فلكهم وبحاجة لحمايتهم ورعايتهم وسيكون في المستقبل مشغلة للعرب والمسلمين ينهك قواهم ويورثهم الهمّ الدائم، يعرقل كلّ محاولة للوحدة الاسلامية فيما بينهم. والسبب الثاني يكمن

في أن هناك مصالح مشتركة ذات بعد استراتيجي في إسكان اليهود في ارض فلسطين، ففي الأساس كانت بريطانيا قلقة من هجرة يهود روسيا و أوروبا الشرقية الذين كانوا يتعرّضون للاضطهاد. فوجدت أنّ لها مصلحة في توظيف هذه العملية في برنامج توسّعها في الشرق الأوسط، فحوّلت قوافل المهاجرين إلى فلسطين بعد صدور الوعد، و قامت بتوفير الحماية لهم و المساعدة اللازمة.

وتنفيذا لهذا المخطط الإجرامي القذر، في ايار عام ١٩١٦م حصل اتفاق سري بين الدول البريطانية والفرنسية و روسيا يقضي بتقسيم العالم العربي بعد الحرب العالمي الاول إلى مناطق نفوذ منفصلة. وفي حزيران نفس العام قاد الشريف حسين الثورة العربية، وأرسل الجيوش العربية المتحالفة مع بريطانيا من الجزيرة العربية شمالا ضدّ العثمانيين بإيعاز من السير هنري مكماهون، المندوب السامي البريطاني في مصر، بعدما وعده بأنّ بريطانيا ستسمح للعرب بإنشاء دولة متحدة مستقلة بعد الحرب.[٢٩]

وما إن انهارت الإمبراطورية العثمانية حتى سيطر الجيش البريطاني في عام ١٩١٧م على فلسطين و شرق الأردن بمساعدة الثورة العربية بقيادة الشريف حسين (التي كانت تسعى إلى استقلال و وحدة الولايات العربية بناء على مراسلات حسين - مكماهون)، و تمّ تطبيق معاهدة "سايكس بيكو" و خضعت الأردن و فلسطين للانتداب البريطاني. و في نفس العام، أرسل آرثر جيمس بلفور، وزير الخارجية البريطاني رسالة إلى البارون ليونيب و ولتر دي روتشيلد يتعهّد فيها بتأييد بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين و هو ما عرف فيما بعد بوعد بلفور.

وما إن تشكلت الدولة اليهودية الفتية حتى باشرت تحقيق مخطّطاتها الإجرامية التي استوحتها من التلمود و كبار أحبارها الفاسقين فقامت بالتطهير العرقي لفلسطين و ترحيل السكان العرب و استقدام اليهود محلّهم حتى استطاعت خلال فترة قليلة تغيير التركيبة السكانية و الاستيلاء على ثلثي مساحة فلسطين و قتل و تهجير ما يقارب المليون فلسطيني من خلال الأعمال الإرهابية التي قامت بها سلطاتها الإجرامية.

لم يستطع الشعب الفلسطيني السكوت على هذا الاحتلال الغاشم و إرهاصاته الإجرامية؛ فقد أدّى ذلك إلى تفجُّر الانتفاضات و الثورات المتواصلة بين المواطنين العرب

العُزَّل بلغ بعضها حدّ الحروب كما نجد ذلك في حرب عام ١٩٤٨م المعروف بالنكبة، وحرب عام ١٩٦٧م المسمّى بالنكسة لكنّ أكثر تلك الثورات والانتفاضات أخفقت بسبب شراسة الدولة الصّهْيَونية و تدريبها المتفوّق و تسليحها العالي و الموارد الكثيرة، و الدَّعم الخارجي الذي تلقته من الدول الأجنبية.

فكان من الطبيعي أن تنعكس هذه القضية المصيرية و مأساتها في الأدب الحديث؛ لذلك انطلقت ألسنة الشعراء و أقلام الكُتّاب لتُعبِّر عن ضمير الأمّة و ما يعتلج فيه حيال قضية فلسطين من ألم و نقمة و تطلّع إلى مستقبل تُمسح فيه تلك الجراحات. و قد شغلت هذه القضية الأدب العربي بشقّيه الشعري و النثري و تنافس الشعراء و الروائيون في الكتابة عن مآسيها حتى ظهر عندنا ما يعرف بالأدب الفلسطيني، و قد كان شعراء الوحدة الاسلامية وعلي راسهم الجواهري من أبرز شعراء القرن العشرين الذين تناولوا القضية الفلسطينية و خصّصوا لها قسما وفيرا من شعرهم، و عكسوا مأساتها في دواوينهم الشعرية.

أولى قصائد الجواهري في فلسطين هي قصيدة "فلسطين الدامية" التي نظمها عام ١٩٢١م أي بعد عامين من وعد بلفور المشئوم و قد عبّر فيها الشاعر عن حزنه و أساه لما أصاب فلسطين جرّاء الاحتلال الإسرائيلي، و نعي على الأمّة العربية غفلتها عن مأساتها المفجعة، و دعاها دعوة حثيثة إلى الوحدة الاسلامية و النضال ضدّ الاحتلال، و ندّد بصمت الحكومات و اكتفاءها بإطلاق الخطابات الثورية دون القيام بالكفاح، و أشاد بالمناضلين الذين باشروا مهمّتهم الجهادية في أوانها.

لو استطعتُ نشرتُ الحزنَ والألما ... على فِلسْطينَ مسوداً لها علما
أكلما عصفت بالشعب عاصفةٌ ... هوجاءُ نستصرخُ القرطاسَ والقلما؟
هل أنقَذ الشام كُتابٌ بما كتبوا ... أو شاعرٌ صانَ بغداداً بما نظما
فما لقلبيَ جياشاً بعاطفةٍ ... لو كان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما
ما سرني و مَضاءُ السيفِ يُعوزني ... أني ملكتُ لساناً نافثاً ضَرما
دم يفور على الأعقاب فائرُهُ ... مهانةٌ ارتضي كفواً له الكلما[٣٠]

في اللوحة الأولى بعد بثّ الحزن والأسى على المأساة الفلسطينية يندّد الشاعر بأولئك الشعراء والخطباء الذين أتقنوا فنّ الخطابة والقصائد الحماسية دون القيام بأفعال على أرض الواقع؛ فقد تأسّف الشاعر في هذه القصيدة لما رأي من لجوء زعماء الشعب و قادته إلى

الخطابة والشعر أوان الأزمات و اكتفاءهم بالتنديد دون النضال حتى بات ذلك ديدنهم، ثمّ بين عدم جدوي الخطب و الشعارات في حلّ الازمات فكلّ القصائد و الخطب التي قيلت رثاءً في الشام و بغداد لم تنقذهما من يد الخطوب التي حاقت بهما؛ لأنّ هكذا خطابات ما هي إلا تعبير عن العواطف و المشاعر المتألّمة التي لا تسمن و لا تغني من جوع و لا تغير شيئا على أرض الواقع ما لم تترجم إلى أفعال تقلب الأوضاع رأسا على عقب؛ فاللسان مهما اشتدّ اضطراما فأنّه لا يجدي إذا ما لم يثبت صحّته على أرض الواقع.

فاضت جروحُ فِلَسْطينٍ مذكرةً ... جرحاً بأئْدَلُسٍ للآن ما التأما

يا أُمّةً غرها الإقبالُ ناسيةً ... أن الزمانَ طوى من قبلها أمما

ماشت عواطفَها في الحكم فارتطمت ... مثلَ الزجاجِ بحد الصخرة ارتطما

سيُلحقون فلسطيناً بأندلسٍ ... ويَعْطفون عليها البيتَ والحرما

ويسلبوئك بغداداً وجلقةً ... ويتركونك لا لحماً ولا وضما[٣١]

ثمّ في الأبيات التالية ينعي على الأمّة العربية المسلمة غفلتها و انشغالها عن القضية الفلسطينية وضياعها من أيدي العرب كما ضاعت الأندلس من قبل، ويحذّرها من المؤامرات التي يحوكها الاحتلال الصهيوني وحاميته الغربية للوطن الاسلامي من أجل الهيمنة عليه؛ فالمأساة الفلسطينية سالت جروحا في ضمير الأمّة الإسلامية تذكرّها بالجرح الأندلسي الذي بان على جسمها من قبل و لم يلتئم بعد، الأمّة التي غرّها حسن ظنّها بالدول الغربية فلم تتأهّب لهذا العدوّ المتحفّز للانقضاض ناسية تاريخه المسودّ في حقّ الشعوب الإسلامية و قد جارت عواطفها في إدارة البلاد دون تحكيم العقل فارتطمت بالمؤامرات الغربية كما يرتطم الزجاج بحدّ الصخور. فقد سدرت عن واقعها حتى إذ استيقظت من غفلتها عضّت على أناملها أسفا، ثمّ يحذّرها من المؤامرات الآتية؛ فالاحتلال الصهيوني لا يكتفي بسرقة المسجد الأقصى من أيدي العرب بل سيلحق به البيت الحرام ومن ثمّ الشام وبغداد ويستمرّ حتى لا يبغي للعرب أية أرض تطئها أقدامهم، وبذلك يقضون على الأمّة الاسلامية فلا يبقى لها لحم ولا وضم؛ وما سبب ذلك سوي خنوع الأمة واستسلامها للاحتلال و داعميه وتمسّكها بالحلول السلمية للقضية الفلسطينية دون الحلّ العسكري.

ويلاحظ أيضاً ان الشاعر انما يشير من خلال ذلك التهديد إلى ضرورة اتحاد العالم العربي الاسلامي في وجه الاحتلال اذ في حال الفرقة والتخاذل فان الاحتلال سينفرد بكل

بلد بمفرده فيحتل البلاد العربية والاسلامية واحدة تلو الأخرى بما فيها البلد الحرام فلا يبقي بذلك لا بلد صغير ولا كبير في العالم الاسلامي الا احتلوه وقضوا على شعبه المسلم.

يـــا أمـــةً لخصـــوم ضـــدّها احتكمـــت ... كيـــف ارتضـــيتِ خصـــيماً ظالمـــاً حكمـــا
بالمِـــدفع استشـــهدي إن كنـــت ناطقـــةً ... أو رُمْـتِ أن تسـمعي مـن يشـتكي الصـمما
وبالمظـــالمِ رُدّي عنـــك مظلمـــةً ... أولا فـــأحقر مـــا في الكـــون مَـــنْ ظُلِمـــا
ســـلي الحـــوادثَ والتـــأريخَ هـــل عرفـــا ... حقـــا ورأيـــاً بغـــير القـــوةِ احتُرمـــا
لا تطلُـــبي مـــن يـــد الجبـــار مرحمـــةً ... ضـــعي علـــى هامـــةٍ جبـــارةٍ قـــدما[٣٢]

ثـمّ في المقطـع التـالي يشـجب الشـاعر علـى الامـة العربيـة المسـلمة قبـولهم بالصـلح، وتمسّكهم بالحلول السلمية، والاحتكام للدول الغربية الداعمة لإسرائيل والتي هي جزء من المشكلة ويدعو الدول العربية إلى الكفّ عن دعوات السلام مع الكيان الصهيوني الباغي والاحتكام للقوّة والسلاح حكما عادلا ومحاربة المحتلّ دون هوادة؛ فالأمّة العربية يجب أن تصدف عن الحلول السلمية و تتجنّب عقود السلام مع الكيان الصهيوني الغاشم في الأزمة الفلسطينية و يلزمها أن تحتكم إلى قوة السلاح والجهاد التي هي الكفيل الوحيد باسترداد الحقّ و إسماع الطغاة صوته المدوّي وأن تقطع يد الجور المعتدية بيد الكفاح المستميت فالحقّ لا يستردّ بالقوّة و لا يحترم الّا بالنضال، والجبابرة الذين ساموا الشعوب خسفا وجورا لا يحقّ للشعوب أن تستسلم لهم مسترحمة بل يجب أن تضع أقدامها عارمة على هام الطغاة.

فيـــا فِلَسْـــطينُ إن نَعْـــدمْكِ زاهـــرةً ... فلســـتِ أولَ حـــقٍ غيلـــةً هُضِـــما
سُـــورٌ مـــن الوَحْـــدةِ العصـــماءِ راعَهُـــمُ ... فاســـتحدثوا ثُغْـــرَةً جوفـــاءَ فانثلمـــا
هـــزّت رزايـــاكِ أوتـــاراً لناهضـــةٍ ... في الشرق فاهتَجْنَ منها الشجوَ لا النغما
ثـــار الشـــبابُ و مـــن مثـــلُ الشـــباب إذا ... ريـــعَ الحمـــى وشُـــواظُ الغَيْـــرَةِ احتـــدما
يـــأبى دمٌ عـــربيٌ في عـــروقِهِمُ ... أنْ يُصـــبِحَ العـــربيُّ الحـــرُّ مهتضـــما
في كـــل ضـــاحيةٍ منـــهم مظـــاهرةٌ ... موحّـــدين بهـــا الأعـــلامَ والكلمـــا
أفـــدي الـــذينَ إذا مـــا أزمـــةٌ أزَمَـــتْ ... في الشـرق حُزْنـاً عليهـا قصَّـروا اللِمَمـا
ووحـــدَّتْ منـــهُمُ الأديـــانَ فارقـــةً ... والأمـــرَ مختلفـــاً والـــرأيَ مُقتَســـمَا
لا يـــأبهون بإرهـــابٍ إذا احتـــدَموا ... ولا بِمَصْـــرَعِهِمْ إن شـــعبُهم سَـــلِما[٣٣]

من الملاحظات الهامة في هذ المقطع ان الشاعر من منطلق فكره الوحدوي الإسلامي

يستحضر الشاعر قضية الاندلس في البيت الاول فيصرح ان القدس لم تكن أولى حقوقنا المهضومة بل ان الاندلس قد سلبت منا سابقا كما ان الشاعر في البيت الثاني يري ان القدس هي سور الامة وان الاحتلال قد استطاع ايجاد ثغرة في سور العالم الاسلامي فهو بذلك يوحي بامكانية ان يلج اليهود إلى الوطن الاسلامي باسره فيحتلوه اجمع ويعيثوا فيه فسادا ودمارا والهدف من هذه الصورة هو وجوب سد الثغر لان الخطر اعظم من مسألة تهديد بلد بمفرده بل ان التهديد يتحدى مصير كل العالم الاسلامي لذا يستلزم اتحاد العالم الاسلامي اجمع و الاستبسال والمقاومة امام الغزاة اذ ان هذا التحدي يهدد العالم الاسلامي اجمع. وفي البيتين الاخيرين من المقطع يشيد الشاعر بالاتحاد الاسلامي الذي ينفض عنه غبار الاحتلافات فيتجمع تحت مظلة الوحدة الاسلامية من اجل تحرير البلاد الاسلامي من ايدي الاحتلال الجائر تنبيها إلى ما يجب على الشعوب الاسلامية فعله وهكذا تتجلي نزعته في اتحد العالم الاسلامي بوضوح تام.

الاستنتاج:

يرى شعراء الوحدة الاسلامية ان السبب الرئيسي في تخلف الامة وتدهور حالها هو انقسامها المهلك و عدم اتحادها امام اعداءها لذا تناولوا قضية الوحدة الاسلامية بجد ومثابرة متأثرين في ذلك من التعاليم الدينية والواقع الاسلامي.

غالبا ما كان الجواهري يتناول ثلاثة قضايا مدخلية يلج منها إلى صلب الدعوة إلى الوحدة الاسلامية والقضايا هي قضية الاستعمار، الاستبداد الحكومي والاحتلال الصهيوني؛ فقد شكلت هذه المحاور ابرز المداخل التي ولج منها شاعرنا للتعبير عن ضرورة الوحدة الاسلامية في العصر الحديث

شكلت الامبريالية العالمية و الاحتلال الصهيوني و الاستبداد العربي مثلث الشر معا ضد العالم الاسلامي وشعوبه العزل وارتكبوا ابشع الاجرام واعتي المآسي في حقه مما حدت شعراء الوحدة الاسلامية للإعلان عن مواقفهم المناوئة لهذه السياسات الإجرامية، فقاموا بثورة استنهاضية عملوا من خلالها على مناهضة هذه العوامل التدميرية الثلاثة و الوقوف بوجهها جميعا و توعية الشعوب بأوضاعها المزرية و بالمؤامرات التي تحاك لها من قبل مثلث الشر ودعوا الشعوب الاسلامية والعربية اجمع إلى الوحدة الاسلامية والانضواء

تحت راية الشريعة الحنيفة. و قد كان الجواهري في الصدر من هذه الزمرة الاستنهاضية المباركة. فقد دعا إلى الوحدة الاسلامية كحل وحيد لهذه الازمة كما انه قد ندّد بقوات الاستعمار والاحتلال والاستبداد بملء فيه، وتصدّى لمخطّاتهم ومؤامراتهم وافكارهم الهدامة في الوطن الاسلامي بكلّ حزم و شجاعة، وقام بحملة توعية للجماهير المسلمة السادرة عن مصيرها من خلال الكشف عن الجرائم المرتكبة وتأنيبها على التشتت والفرقة والخنوع والتواني أمام الاعداء.

تجلت الوحدة الاسلامية في الشعر الجواهري باسلوبين اساسيين؛ اولها ان الوحدة الاسلامية قد بزرت على شكل دعوة صريحة مباشرة إلى الوحدة الاسلامية والانضواء تحت راية الاسلام والاسلوب الثاني هو مناهضة عدو تلك الوحدة المتمثل بالاستعمار والاحتلال والاستبداد. ونحن في هذه القصائد قمنا بانتقاء ابرز القصائد الاستنهاضية التي تضمنت الاسلوبين معا فغالبا ما جمعت تلك القصائد اسلوبي مكافحة قوي المثلث الخبيث والدعوة إلى الوحدة الاسلامية في آن واحد.

هوامش البحث

(١) بن فارس، معجم مقاييس اللغة و الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٩٣.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص٩٠.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٣،ص٤٤٦، وانظر أيضًا الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ١،ص٤١٤.
(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن الكريم، ج٢، ص٤٩٤.
(٥) عمر هاشم، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، ص٧.
(٦) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص٣٧، وابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٠٢.
(٧) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص ١٧٤.
(٨) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ١،ص٢٢٢٩.

(٩) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج١، ص١٧٤.
(١٠) منصور أبو عودة، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية،ص١٧.
(١١) لويس، المنجد في اللغة والاعلام، ص٢٨.
(١٢) المجلسي، بحار الانوار، جزء ٢٩، صفحه ٢٠٤
(١٣) بان، ظاهرة الاستبداد في انظمة الحكم العربية المعاصرة، ص٢٧٥
(١٤) الكواكبي، عبد الرحمن: طبائع الاستبداد، ص٦٢
(١٥) صالح، الوحدة الإسلامية، ص٢.
(١٦) الجواهري، الديوان، ج ٢، ص١٩٣
(١٧) انطونيوس، يقظة العرب تاريخ الحركة القومية، ص١٣٦
(١٨) الفاخوري، تاريخ الأدب العربي،ج٢، ص٨٠
(١٩) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٣
(٢٠) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٣
(٢١) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٥
(٢٢) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٥
(٢٣) انيس، المعجم الوسيط ج٢،ص٦٢٧
(٢٤) سورة هود، اية٦١.
(٢٥) الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص ٥١ و الشهابي، محاضرات في الاستعمار، ص٢٣.
(٢٦) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٥
(٢٧) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٥
(٢٨) الجواهري، الديوان، م ٢، ص١٩٥
(٢٩) الجيوسي، الشعر العربي المعاصر و تطوره و مستقبله، ص٢٤.
(٣٠) الجواهري، الديوان، ج ١، ص٢٥٦
(٣١) الجواهري، الديوان، ج ١، ص٢٥٧
(٣٢) الجواهري، الديوان، ج ١، ص٢٥٧
(٣٣) الجواهري، الديوان، ج ١، ص٢٥٧.

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القران الكريم

- ابن الجوزي، جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، اصدار المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ق.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مفتاح دار السعادة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ش .
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.
- الجواهري، محمد مهدي، الديوان الشعري، ١٩٨٢.
- الجيوسي، سلمى الحضراء، الشعر العربي المعاصر و تطوره و مستقبله، الكويت، مجلة عالم الفكر،١٩٥٩م.
- الفاخوري، حنا، ، تاريخ الأدب العربي، طهران، نشر طوس، مطبعة حيدري، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ ش
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن الكريم، دمشق، دار القلم.
- الشهابي، مصطفى، محاضرات في الاستعمار، دار المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٩٥٦م.
- الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصر، القاهرة، مؤسسة الهندواوي، ٢٠١٢.المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، در احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ ق.
- الميداني، عبدالرحمن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دمشق، بيروت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ .
- انطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ الحركة القومية، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، بيروت، نشر دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.
- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- صالح، نبيل على، الوحدة الإسلامية، السنة الثانية، العدد ١٨.
- غانم احمد الصائغ، بان، ظاهرة الاستبداد في انظمة الحكم العربية المعاصرة، جامعة الموصل، العدد١١، ٢٠٠٩م.
- لويس، المنجد في اللغة والاعلام، ط٢٠، درا الشرق، بيروت، ١٩٦٠م.
- منصور أبو عودة، أحمد، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، فلسطين، غزة، ٢٠٠٩م.
- هاشم، أحمد عمر، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين تحت عنوان وحدة الأمة الإسلامية، مكة المكرمة، ٢٠٠٦م.